أسلوب التربية بالقصة
في القرآن الكريم

د. حياة عبد العزيز محمد نياز

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسلوب التربية بالقصة في القرآن الكريم (*)

د. حياة عبدالعزيز محمد نياز

أستاذ الأصول الإسلامية للتربية المشارك

جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة

للقصة دور هام في حياة الإنسان مما جعل التربويين منذ القدم يستخدمونها في تربية النشء، وتعليمهم المثل والآداب الإسلامية الرفيعة والقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية ، فالقصة بما تصوره من أحداث ووقائع وشخصيات تشد انتباه القارئ ، وتشوقه إلى تتبع أحداثها ووقائعها ، فتثير بذلك مختلف الانفعالات والمشاعر لديه ، مما يجعله يشترك في أحداثها وجدانيّاً ويتأثر بها عاطفيّاً ، فيتقبل بذلك ما تتضمنه .

ولقد كان القصص من الأساليب التربوية الهامة التي استعان بها القرآن الكريم للدعوة والتربية والتوعية وتجديد المعاني لتكون عظة دائمة " وبخاصة في العهد المكي ، فقد شغل منه القصص القرآني حيزاً كبيراً ، وعالج كل ما يهدف القرآن إلى الدعوة إليه أو تعميق الإيمان به في قلوب المؤمنين "(١) . فالمتأمل لهذه القصص القرآنية يجد في طياتها وبين ثناياها تقرير مسائل التوحيد ، وبيان حكم الله الباهرة وسننه في عباده التي لا تتبدل ولا تتغير ، وقد يوجد في بعض منها بيان أحكام فقهية وعلى ذلك فإنّ هناك اختلافاً كبيراً بين القصة القرآنية ، وبين القصة الفنية الأدبية التي من تأليف البشر ، الفرق بين النوعين كما يقول الشريف : "كما بين الخالق والمخلوق "(٢)

والقصة القرآنية تأتي على ضروب شتى هي :

١- القصص الواقعية المشاهدة ، وهي القصص المتعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالغزوات كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة ، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، وحادثة الإفك في سورة النور ، وقصة صلح الحديبية في سورة الفتح .

٢- القصص الغيبية ، وهي التي تتناول أحداثاً من صميم الغيب من مشاهد الآخرة أو الجنة أو النار ، كقصة محاكمة عيسى عليه السلام في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (المائدة : ١١٦-١١٩)

، وقصة الحوار الذي دار بين أهل الجنة. وقصة الجن كما في قصة سليمان ، كما تتناول القصص الغيبية الأحداث التي وقعت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تناولها القرآن الكريم لتحقيق أهدافه التربوية عن طريق القدوة كما في قصة أصحاب الأخدود ، وقصة مؤمن آل فرعون ، وفتية الكهف ، وقد ذكروا في قصص القرآن ليكونوا قدوة لمن يسير في هذا الطريق بأن يثبتوا حتى يلقوا الله عز وجل ، أو عن طريق أخذ العبرة كما في قصة ابني آدم، وقصة قارون ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الفيل ، وقصص جميع المكذبين بالرسالات ، مثل قوم نوح ، ولوط ، وفرعون ، وقد ذكروا في قصص القرآن الكريم للاعتبار والاتعاظ من سوء عاقبتهم .

٣- قصص الأنبياء والرسل ، فقد وردت سور تحمل أسماء الرسل والأنبياء مثل سورة يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، طه ، الأنبياء ، محمد ، نوح ، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، كما وردت قصص في ثنايا السور الأخرى للأنبياء والرسل لقصة موسى – عليه السلام – في سورة القصص ، وقصة إبراهيم – عليه السلام – في سورة مريم، وفي سورة الأنعام ، وفي سورة البقرة ، وقصة ميلاد عيسى – عليه السلام – في سورة مريم ، وقصة معجزاته – عليه السلام – وخبر نزول المائدة ، وبراءته من افتراء النصارى في سورة المائدة.

وقد استخدمت التربية الإسلامية القصة القرآنية بضروبها الثلاث في تحقيق أهدافها التربوية ، لما لها من أثر عظيم في نفوس المتعلمين من تلك الأهداف :

أ – فإذا كان الهدف الغائي من التربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المسلم العابد لله حق العبودية ، فإن القصة القرآنية تهدف إلى إثبات التوحيد لله عز وجل ، فقد جاء جميع الأنبياء والرسل بكلمة واحدة هي كلمة التوحيد.(٣)

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

، وقضية واحدة هي عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل :٣٦) . (وأنظر الآيات من : سورة الأعراف أية ٦٥،٥٩ ، ٧٣ ، ٨٥، سورة الانبياء آية ٢٥، سورة الشعراء ٦٩-٩٢ ، سورة الزمر ٦٤-٦٦) .

ب – إثبات الوحي والرسالة وبيان أن هذا القرآن الكريم من لدن حكيم خبير ، وتحقيق القناعة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي لا يجيد القراءة ، ولم يكن يجالس الأحبار والرهبان من أهل الكتاب يتلو على قومه هذه القصص القرآنية ، وهذا دليل على أنه يوحى إليه من ربه ، وأنه يبلغ عن ربه رسالته (٤) ، وشاهد ذلك من سورة هود بعد ذكر قصة نوح – عليه السلام – يقول تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف : ١١١) ، أي (ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قصَّ من الأحاديث المختلقة المكذوبة من دون الله ، وإنما هو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المصدق لما تقدمه من الكتب السماوية في صورها الأولى الصحيحة ، وتفصل كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه ، وهو هدى وإرشاد للعالمين ، إلى طريق الحق والاستقامة ، ورحمة من رب العالمين للمؤمنين في الدنيا والآخرة) (٥) .

ج –كما تهدف القصة القرآنية إلى استثارة سبل التفكير قال تعالى : (... فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ...) (الاعراف : ١٧٦)، كما لام الله عز وجل الغافلين عن التفكر في هذا التاريخ ، وما اشتمل عليه من بيان مصارع الظلمة وهلاك المفسدين ، قال تعالى : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهَى) (طه:١٢٨) ، وتلفت القصة القرآنية العقل إلى التفكر في الآيات الكونية من ذلك قصة موسى – عليه السلام – في سورة الشعراء ، حيث سأل فرعون موسى – عليه السلام – عن رب العالمين ، كما حكى الله ذلك في قوله تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) (الشعراء :٢٣-٢٨) .

كما طالب مؤمن آل فرعون قومه بالتفكر والتدبر فيما جاء به موسى – عليه السلام – من الأدلة والبراهين على صدق ما جاء به من الحق ، ومقابلة تلك الأدلة والبراهين بما يردها . ولو فرض أنه كاذب فكذبه عليه ، وإن كان صادقاً فإنه لا بد أن يصيبهم بعض الذي يعدهم من العذاب في الدنيا وهكذا خاطب مؤمن آل فرعون عقول قومه بالتفكر والتريث في إصدار حكم القتل ليصلوا إلى هذه النتيجة الصحيحة ، قال تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (غافر :٢٨-٤٤) .

د – كما تثير القصة القرآنية دوافع المتعلم للتعلم ، لما تثيره من تشويق ، ولما تستدعيه من انتباه لتعلم ما تهدف القصة القرآنية إلى تعليمه من مبادئ الدين ، وأصول العقيدة ، وآداب إسلامية رفيعة كما في قصة موسى – عليه السلام – والعبد الصالح في سورة الكهف .

هـ –كما تهدف القصة القرآنية إلى تربية الإنسان المسلم على التخلق بالأخلاق الإسلامية الحميدة ، والقيم والمبادئ الدينية الرفيعة ، وتحثه على فعل الحسنات وترك السيئات ، ومن تلك القيم على سبيل المثال :

١– قيمة الإيمان :

(يهدف القرآن الكريم إلى إقامة المجتمع المسلم على أساس الإيمان ، وجعله القيمة الأولى في الحياة ، فهو الميزان الذي توزن به الأعمال والأشخاص ، وهو الرابطة الأولى بين الأمة المسلمة ، والتي تفوق ما سواها من الروابط والصلات ، فإذا انتفت هذه الصلة فقد انتفى ما سواها من صلات ، حتى لو كانت الصلة بين الابن وأبيه) (٦). قال تعالى في قصة نوح – عليه السلام – : (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) (هود:٤٢-٤٧)، ففي القصة تأكيد لقيمة الإيمان في القلوب وأن العبرة بقرابة الدين ، لا بقرابة النسب ، وأن حكم الله في خلقه قائم على العدل المطلق دون محاباة أحد .

٢– قيمة العدل :

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصة داود – عليه السلام – خير مثال لغرس قيمة العدل ، وتعميق الإيمان بها في نفوس المسلمين ليطبقوها في كافة تعاملاتهم في الحياة الدنيا . قال تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص : ٢١-٢٦) ، فالقصة استفتحت بالاستفهام (وهل أتاك) تعجباً من القصة وتفخيماً لها لأهمية قيمة العدل في الحياة .

٣- قيمة العلم :

كما في قصة آدم – عليه السلام – في قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (سورة البقرة : ٣١-٣٣)، فبالعلم فضل الله عز وجل آدم – عليه السلام – ، على الملائكة واصطفاه بالخلافة ، وبالعلم كرمه وأسجد له ملائكته ، والقصة توحي بأن العلم فطرة إنسانية ، فقد خلق الله عز وجل الإنسان وجعل الاستعداد للتعلم واكتساب المعرفة من صميم تكوينه مما يزيد من قدرته على تحمل مسؤولية الحياة على الأرض وعمارتها ، فقد علم الله عز وجل آدم – عليه السلام – الأسماء كلها كما في الآيات السابقة ، وعلمه ما يأكل وما يترك في الجنة ولك في قوله تعالى : (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأعراف : ١٩) ، كما علمه عداوة إبليس له ليحذره في قوله تعالى : (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (طه : ١١٧) ، ومن ثم يعلمه اللجوء إليه بالتوبة والإنابة عند العصيان ومخالفة الأوامر في قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ

وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (سورة البقرة : ٣٥-٣٧) .

إن عملية التعلم هذه التي مر بها آدم – عليه السلام – يمر بها أيضاً جميع أفراد ذريته من بعده ، فها هو يوسف – عليه السلام – يعلم الناس كيف يستقبلون السنين العجاف كما في سورة يوسف، وفي نفس السورة يعلم يعقوب عليه السلام أبناءه كيف يدخلون مصر من أبواب متفرقة ؛ حتى لا تصيبهم العين والحسد . وها هو موسى – عليه السلام – يرحل لطلب العلم وهو من أولي العزم من الرسل – عليهم الصلاة والسلام – قال تعالى : (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ... الآيات) (الكهف : ٦٥-٧٠)، كما ظهرت قيمة العلم في قصة كل من إبراهيم – عليه السلام – حينما دعا ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، وفي قصة نوح – عليه السلام – مع قومه ، وذلك عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده ، وعلمهم بالنتيجة المترتبة على الشرك بالله ، كما علمهم أثر الاستغفار في الدنيا والآخرة ، وفي قصة شعيب – عليه السلام – في إسهامه في تعليم قومه أصول الحلال والحرام في البيع والشراء ، وخطر الإفساد في الأرض وعاقبة ذلك في الدنيا والآخرة(١١) ، وفي غيرها من القصص القرآنية .

٤– قيمة التقوى :

وقد ظهر ذلك في قصة غزوة الأحزاب ، فقد اجتمع على الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الغزوة مع الأحزاب ، شدة الجوع ، وشدة البرد ، وشدة الخوف ، وظهر النفاق ؛ ليتبين الإيمان ، ويزيد الإيمان بالله تعالى . ونزل في ذلك صدر سورة الأحزاب، وقد اشتد الخطب على المؤمنين حينما غدرت يهود بني قريظة بالمؤمنين ، ونكثوا عهدهم كعادة اليهود في كل زمان ومكان ، وصار المسلمون كما وصفهم الله – عز وجل – في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) (الأحزب:٩-١١)، فالآيات القرآنية تكشف يد القدرة وهي تدبر وتعلم وتهيئ أسباب النصر للمؤمنين (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا) ، قال مجاهد : سلط الله عليهم الريح فكفأت

قدورهم ونزعت خيامهم ، نصرهم الله عز وجل ، ونزلت سورة الأحزاب فيها قصة المعركة لتقر في " القلوب دستور النصر والهزيمة ، وليعلم المؤمنون عن يقين بعد التجربة أن النصر ليس بالعدد والعدة ، وليس بكثرة المال والزاد ، إنما يستنزل النصر من السماء بمقدار تقوى القلوب واتصالها بالله "(٨) ، فإذا كانت الشدائد تظهر نفاق المنافقين ، فهي كذلك تظهر إيمان المؤمنين وتقواها ، فقد قال الله عز وجل : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) (الأحزاب :٢٢).

٥- قيمة الصبر :

ويبدو ذلك واضحاً في سورة الأنبياء حيث ورد ذكر قصص الأنبياء ، ولقد ابتدئ بذكر موسى وهارون لأنهما وجدا من الصد والمعاندة والعنت الكثير ، ثم تلا موسى وهارون إبراهيم – عليه السلام – ؛ لأنه وجد معاناة شديدة في حمل قومه وأبيه على رفض عبادة الأصنام ، قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (الأنبياء : ٥١-٥٢)، فأصروا على تقليد الآباء واتباع الأسلاف ، فقال لهم إبراهيم – عليه السلام – مسجلاً عليهم ضلالهم وجهالتهم في قوله تعالى : (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الأنبياء :٥٤) ، وفي قصة لوط – عليه السلام – وكيف أن الله عز وجل نجاه من العذاب الذي عذب به قومه الذين ارتكبوا خبائث الأعمال ، قال تعالى : (وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (الأنبياء : ٨٥-٨٦)، ثم تمضي الأيام مع قصص الأنبياء نوح وداود وسليمان حتى نصل إلى أيوب عليه السلام وهو المثال الأول في الصبر على البلاء والمصائب والأزمات ، فقد كان – عليه السلام – على قمة الصابرين على بلاء الله والمرض ، حيث فقد المال والولد واعتلت صحته وضاقت عليه سبل الرزق ، وبعد صبر جزيل دعا ربه ضارعاً (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء : ٨٣-٨٤) . أما إسماعيل وإدريس وذو الكفل – عليهم السلام – فقد ارتبطوا بالصبر على البلاء والشدائد ، وعلى طاعة الله وعن معاصيه حتى كانوا القدوة في سبيل العقيدة والصبر على الطاعة (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) (الأنبياء : ٨٥-٨٦).

ومن المبادئ التربوية التي تسعى القصة القرآنية إلى غرسها في النفوس مبدأ اليقظة من الأعداء ، وقد دل على هذا المبدأ قوله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)(سورة البقرة : ١٢٠)، وقال تعالى : (وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (المائدة : ٤٩)، وقال تعالى :(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون :٤)، وفي قصة يوسف – عليه السلام – تحذير من العدو اللدود الشيطان بالابتعاد عن الخلوة بالنساء الأجنبيات ، هذا المبدأ يستفاد من مراودة امرأة العزيز ليوسف ، قال تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)(يوسف:٢٣-٢٤) ، ومن نفس القصة يستفاد قيمة الصبر ، من قول يعقوب – عليه السلام – عندما فاجأه أبناؤه بالخبر المحزن بأن يوسف قد أكله الذئب : (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (يوسف:١٨) .

هـ -تنبيه الناس إلى طرق غواية الشيطان ، وتوضيح عداوته الخالدة لهم ، وتوضيح ذلك عن طريق القصة أدعى إلى الحذر من أي هاجسة في النفس تدعو إلى طريق الشر ، وأشد تأثيراً من التوجيه المباشر ، ولأهمية هذا الهدف التربوي تكررت قصة آدم – عليه السلام – في مواضع عدة (٩) ، ومنها قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف : ٢٥-٢٧) (وأنظر أيضا : سورة البقرة ، آية (٣٠-٣٩) ، سورة طه ، آية (١٢٣-١٢٤)) .

و – بيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد ، لأخذ العظة والعبرة منها ، وقد فصل القرآن الكريم ذلك تفصيلاً عجيباً ، وهو يتحدث عن الترف والطغيان ، والبطر والظلم ، والاستعباد الفكري والسخرية ، والرضا بالذل وغير ذلك من الأسباب المبثوثة في القصص القرآني (١٠) . قال تعالى في قصة أصحاب القرية : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُّرْسَلُونَ) إلى قوله تعالى : (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) (يس: ٢٨-٣٠) وأنظر : قصة أصحاب الجنة ، سورة القلم آية (١٧-٣٣) وقصة قارون ، القصص الآيات ٦٧-٨٣ ، ٥٨-٥٩) ، وسورة الاعراف آية (٩٦).

كما بين الله عز وجل أسباب السعادة ، وأسباب الرقي في القصص القرآني (١١) ، كما في قصة ذي القرنين ، قال تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً) إلى قوله : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً) (الكهف:٨٣-٩٨) ، فقد أعطى الله عز وجل ذي القرنين من الأسباب ما يتوصل به إلى ما يريده ، ويحقق أهدافه في فتح مشارق الأرض ومغاربها ونشر العدل والخير فيها . وقد أخذ ذي القرنين بهذه الأسباب واستعملها على وجهها الصحيح في تحقيق تلك الأهداف .

ز – كما تهدف القصة القرآنية إلى بيان بعض الأحكام الفقهية ، والأحكام الشرعية ، والأسرار الحكيمة ، وهذه الأمور لا غنى لكل طالب علم عنها ، من ذلك قوله تعالى في قصة يوسف : (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) (يوسف :٧٢)، والأحكام الفقهية التي نأخذها من هذه الآية هما الجعالة والكفالة (**) ، وقوله تعالى : (ولمن جاء به حمل بعير) أي " أجره له على وجدانه (وأنا به زعيم) أي : "كفيل "(١٢) .

ح – تهدف القصة القرآنية إلى تربية الإنسان المسلم تربية عقدية ، وذلك ببيان قدرة الله عز وجل على المعجزات كمعجزة خلق آدم – عليه السلام – ، ومولد عيسى – عليه السلام – ، وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه ، وبيان العاقبة الطيبة والصلاح ، وعاقبة الشر والإفساد كقصة قابيل وهابيل ، ابني آدم ، وقصة تسخير الرياح والجن لسليمان – عليه السلام – وقصة بقرة بني إسرائيل ، كما تربي القصص القرآنية الإنسان المسلم على الإيمان بقدرة الله على الإحياء كما في قصة أهل الكهف ، وعقيدة الإيمان بعذاب القبر والبرزخ ، ويستدل على ذلك من قصة عذاب فرعون وقومه في قوله تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

الْعَذَابِ) (غافر: ٤٦)، كما تعزز القصة القرآنية لدى الإنسان المسلم عقيدة الإيمان بالقدر ، كما في قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ، ويوسف في الجب ، وأم موسى لوليدها في اليم .

ط – كما تهدف القصة القرآنية إلى معالجة القضايا الاجتماعية من عللها المختلفة بما يلائمها من الدواء الناجح لذا فإن الحوار المبثوث في أرجاء كل قصة يساق بحكمه إلى غاية محددة . مثال ذلك قصة سيدنا لوط – عليه السلام – مع قومه في سورة الأعراف ، لقد جاء هذا الخطاب ينكر فيه لوط – عليه السلام – على قومه فعلتهم المتناهية في القبح ، كما في قوله تعالى : (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (الأعراف ٨٠-٨١). فماذا كان الجواب (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (الأعراف :٨٢-٨٤).

وفي قصة سيدنا شعيب – عليه السلام – مع مدين في سورة الأعراف ، يقدم – عليه السلام – النصيحة لقومه بأن ينتهوا عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف في الكيل والميزان وألا يستبد بهم اللدد في الخصومة وألا يحملهم الترف على الإفساد في الأرض ، قال تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ... الآية) إلى قوله تعالى (وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف :٨٥-٨٦).

ولتحقيق هذه الأهداف استخدم القرآن الكريم أسلوب التكرار لأنه " من أشد العوامل في تثبيت الفكرة في نفس السامع " (١٣) ، غير أن هذا التكرار صوري ، فإن كل قصة تختلف عن الأخرى ، إما في العناصر الجوهرية التي تتألف منها ، أو في طريقة العرض الذي يناسب مقتضيات الأحوال ، فقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – في سورة مريم(٤١-٤٦) . قد انفردت بحوار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه سالكاً في هذا الحوار أحسن منهاج ، وأقوم سبيل ، ملتزماً بحسن الأدب وجميل الخلق في دعوته له بعبادة الله ، وترك ما يعبد من دونه ، والقصة نفسها في سورة الشعراء(٦٩-٨٣) انفردت بدعوته – عليه السلام – لأبيه وقومه من عباد الأصنام ، والقصة في سورة الأنعام(٧٥-٧٩) . انفردت بمناظرته – عليه السلام – لقومه من عباد الكواكب ، والقصة في سورة البقرة(٢٥٨) انفردت بمناظرته

شبكة الألوكة www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

– عليه السلام – للملك الذي ادعى الربوبية ، وانفردت سورة الأنبياء(٥١–٧٠) بتفصيل قصة تكسير الخليل – عليه السلام – الأصنام وإلقاءه في النيران ، والقصة في سورة الصافات(٩٩–١١٠) . انفردت بقصة ذبح إسماعيل عليه السلام.

قائمة المراجع :

*القصة في القرآن الكريم هي : " تتبع أحداث ماضية واقعة ، لعرض عرضه عنها، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصا، وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ ، بمعنى التحدث عن الماضي " (عبدالكريم الخطيب ، القصص القرآني مفهومه ومنطوقه ،دار المعرفة ،بيروت ،ط٢،١٣٩٥،ص٤٧)

١. محمد شديد ، منهج القصة في القرآن الكريم ، دار عكاظ للنشر والتوزيع ، ط١،١٤٠٤هـ ، صص١٤–١٥.

٢. نايف الشريف ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ،كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ،١٤١١هـ ، ص٢٤٥.

٣. تيسير المنان في قصص القرآن ، جمع وترتيب : أحمد فريد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط١، ١٤١١هـ ، ج١، ص١٥٠١٦.

٤. عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ،دارا لفكرا لمعاصر، بيروت ، لبنان،ط٢،١٤٢٠هـ ص،٣٢٩.

٥. وهبة الزحيلي ، التفسير الوسيط ، دار الفكر ،دمشق،ط١،١٤٢١هـ ، ج٢، ص١١٤٣.

٦. محمد شديد ، منهج القصة في القرآن ، مرجع سابق ، ص٩٥.

٧. محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ ، ص١٣٥٦.

٨. محمد شديد ، منهج القصة في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٤٠.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

٩. سعيد علي ، الأصول الإسلامية للتربية ، دار الفكر العربي، القاهرة،ط٣،١٩٩٢م ،ص١١٥.

١٠. فضل عباس ، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، دار الفرقان ، الأردن ، ط١، ١٤٠٧ه ، ص١١.

١١. المرجع السابق ، ص١١ .

*الجعالة : قال ابن فارس : الجعل والجعالة والجعيلة ، مايعطاه الإنسان على أمر يفعله (عبدالرحمن النجدي ، حاشية الروض المربع ، شرح زاد المستقنع ،ط٤، ١٤١٠ه ، ص٤٩٤) ، والكفالة : هي التزام رشيد ، إحضار من عليه حق مالي لربه ، (المرجع السابق) ،ج٥،ص١٠٨)

١٢. عبدالرحمن ناصر السعدي ، ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١،١٤٢٣ه ، ص٤٠٣.

١٣. علي أبو العينين ، خليل ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ،القاهرة ،١٤١١ ، ص٢٣٥ .